العتبة العباسية المقدسة
قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية
مركز تراث كربلاء

لمحات تاريخية عن حوزة كربلاء المقدّسة

قراءة في سِيَر رجالاتها في مرحلتي التأسيس والرِّيادة

الندوة الشهرية

العدد السادس عشر – السنة الثانية

ذو الحجة ١٤٣٧ هـ – ايلول ٢٠١٦ م

لا يخفى على أحد أنَّ العلمَ أجلُّ الفضائل، وأشرف المزايا، وأثمن ما يتحلى به الانسان، فهو أساس الحضارة ومصدر أمجاد الأمم وعنوان سموها وتفوقها في الحياة، ورائدها إلى السعادة الأبدية، والعلماء هم ورثة الأنبياء، وخزّان العلم، ودعاة الحق، وأنصار الدين، يهدون الناس إلى معرفة الله وطاعته، ويوجهونهم وجهة الخير والصلاح ، ومن أجل ذلك تظافرت الآيات والأخبار على تكريم العلم والعلماء، والإشادة بمقامهم الرفيع.

ومن هذا المنطلق اهتم مركز تراث كربلاء بدراسة المسار التاريخي لحوزة كربلاء وانعكاساتها على الصعيد الفكري والسياسي في تاريخ العراق والدول المجاورة ، فجاءت هذه الندوة مصداقاً لهذا الاهتمام فقدّمها على قاعة كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء أ.م.د **علي طاهر الحلي بعرافة وتقديم الأستاذ مصطفى هيل الأنباري.**

بعد الإفتتاح بآيات بينات من الذكر الحكيم تلاها القارئ مصطفى الحمدان قدّم الحلي بحثه الذي سلّط فيه الضوء على المنابع

الأساس في تبلور المدرسة الدينية في كربلاء المقدسة وأبرز رجالاتها الذين آلوا على أنفسهم إلّا أنْ يتصدّوا لقيادة الأمة في أصعب أدوارها التاريخية، متفاعلين مع محيطهم السياسي والفكري .مشكّلين بذلك حركةً رائدةً ذات معالم فريدة قوامها الاجتهاد والركون إلى العقل، امتدّ صداها للعالم أجمع، كان لمدينة كربلاء المقدسة قصب السبق في احتضان رجالاتها الأفذاذ، وقد اختار الباحث الحديث عن رجالات مدينة كربلاء المقدسة منذ البدايات الأولى لتأسيس حوزتها وحتى منتصف القرن العشرين .

تألّف البحث من مقدمة ومحورين تاريخيين، بيّن الأول منهما مسار نشوء الحوزة العلمية وأدوار تطوّرها منذ نشأتها وصولاً إلى العصر الحديث، فيما تناول الثاني أبرز رجالات الحوزة في العصر الحديث مع التعريج على أبرز المحطات التي أثروا من خلالها على المجتمع وتفاعلاته المختلفة، ثمّ خاتمة توضح ابرز ما توصل اليه الباحث من استنتاجات.

المبحث الأول: الحوزة العلمية في مدينة كربلاء المقدسة (مرحلة التأسيس والرِّيادة):

الحوزة لغةً هي المكان الذي يحوز فيه طلبة العلم على العلوم التي تفردت بتدريسها تلك الأماكن من علوم أهل البيت – عليهم السلام – والتي اختص بها المسلمون الشيعة على وفق الفقه الشيعي . وفي المعنى الاصطلاحي تعني ذلك الكيان العلمي والبشري الذي يؤهل الطلبة لتحصيل وحيازة علوم الشريعة الإسلامية. والحديث عنها يضعنا أمامَ صرحٍ علميٍّ ومركز اشعاع يضيء للناس طريق الهداية والفلاح والسعادة ، فمن خلال تدريس علوم أهل البيت عليهم السلام تقدم الحوزةُ العلميةُ النظامَ المتكامل لحياة الانسان، وتنظِّم العلاقة بينه وبين ربه ، كما تنظم العلاقة بين الانسان كفرد وبين سائر أفراد المجتمع.

ارتبطت الحوزات العلمية والعلماء بالمدن المقدسة ، حيث مراقد الأئمة الاطهار عليهم السلام، وهي مسألة ليست بالجديدة، لأننا اذا تتبعنا الجذور التاريخية للحوزة العلمية نجدها تصل إلى المسجد ، وهو أول مكان بُني على يد رسول الله –صلى الله عليه وآله– ليشكل بفضل دوره محطة للعبادة والتفكُّر في الدين وهذه كانت البداية المباركة لدراسة العلوم الدينية، وربما هي الحكمة الإلهية بأن لا ينسى عالم الدين على مرِّ التاريخ ، بإنه إنما يطلب العلم لا ليكون "عالماً " يكتنز العلمَ لنفسه، بل عليه الاستعداد ليكون حلقة الوصل بين الانسان العادي وبين تعاليم السماء، وبكلمة أخرى أن يكون «**عالماً رسالياً**».

كذلك الحال في أرض كربلاء المقدسة التي اصبحت بعد شهادة سبط رسول الله محمد –صلى الله عليه وآله – الإمام الحسين

بن علي عليه السلام ملجأً وملاذاً لكلِّ صاحب عقيدة وكلِّ داعية حق وحقيقة .. وقد أسست بدايات الحوزة في كربلاء المقدسة ابتداءً باجتماع زائري الأضرحة المباركة « **مشهد الإمام الحسين وشهداء الطف عليهم السلام**» ، تحت خيمة عند السور الذي بناه المختار الثقفي عام ٦٥هـ آنذاك ، وقد استمرت هذه الحالة بحضور الإمام السجاد (٣٨- ٩٥هـ) والإمام الباقر (٥٧- ١١٤هـ) والإمام الصادق عليهما السلام (٨٠-١٤٨هـ)، حزناً على فاجعة الإمام الحسين عليه السلام خاصة أثناء زيارة الناس للإمام الصادق عليه السلام، حينما كان يفد إلى كربلاء المقدسة، فاكتسب ذلك الاجتماع بوجوده عليه السلام رونقاً ، لما يلتقيه من محدِّثين وفقهاء شيعة ، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى «**تبدَّلت صحراء كربلاء الجافة إلى أرضٍ عامرة**» ، وصارت مركزاً من المراكز العلمية والثقافية الشيعية ، كما شرع الإمام الصادق عليه السلام في كربلاء المقدسة بتأسيس مدرسة وإن لم تكن بِسِعة

مدرسته في المدينة، وذلك لقرب كربلاء المقدسة من مركز الخلافة العباسية في بغداد، غير انها زخرت بعلماء ومحققين أثروا الفكر الإمامي بما جادت به براعاتهم وألسنتهم.

لاقت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في كربلاء المقدسة إقبالاً من الفقهاء والمحدثين والعلماء وفتن بها الناس بجميع طبقاتهم، وقد خاف أبو جعفر المنصور العباسي (١٣٦-١٥٨هـ) أن يفتن به الناس من إقبال العلماء واحتفائهم به وإكرامهم له، فبعث إلى أبي حنيفة يطلب منه مساعدته، وتذكر المصادر التاريخية انه « **لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة، إنَّ النـاسَ قد فُتنوا بجعفر بن محمد، فهيِّئ له من مسائلك الصعاب، فهيأتُ له أربعين مسألة، ثم أتيت أبا جعفر (المنصور) وجعفر عليه السلام جالسٌ عن يمينه، فلما بصرتُ بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلّمتُ وأذن لي فجلست ثم التفت إلى جعفر عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا قال: نعم هذا أبو حنيفة، ثم أتبعها: قد أتانا، ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك تسأل أبا عبد الله فابتدأتُ أسأله فكان يقول** في المسألة: انتم تقولون كذا وكذا وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا فربما تابعنا وربما تابَعَنا أهلُ المدينة، وربما خالفنا جميعه حتى أتيتُ على أربعين مسألة ما اخرمُ منها مسألة، ثم قال أبو حنيفة أليس روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»، وان أحكام الفقه الشيعي الإمامي المعروفة بالفقه الجعفري أو المذهب الجعفري منسوبة إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وفي أيام المهدي العباسي (١٢٧-١٦٩هـ) ازدهرت مدرسة كربلاء المقدسة الدينية بعد أنْ جاءها الإمام

الكاظمعليه السلام لزيارة قبر جده الحسينعليه السلام، واستمر بقاء الإمام الكاظمعليه السلام في كربلاء المقدسة أكثر من سنتين ، ولم يُقم في دار أبيه على نهر العلقمي ، وإنما بنى داره ومدرسته فيما بين حرم الإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباسعليه السلام في الشمال الشرقي منه وغرب حرم سيدنا العباسعليه السلام وتصدى الإمامعليه السلام للتدريس ونشر الفقه الإسلامي والحديث، إذ كانت مدرسة الإمام الكاظمعليه السلام امتداداً لمدرسة أبيه وجده فازدلفت إليه الشيعة من كلِّ فجٍّ «**زرافاتٍ ووحداناً**»، والتفَّت حوله جموع العلماء والمحدثين والرواة تستقي منه العلم وتنهل من معينه العذب، وتروي عنه الأحاديث.

وفي عهد الدولة البويهية ازداد توافد العلويين من ذرية الإمام موسى الكاظمعليه السلام كما ارتحل اليها كثيرٌ من طلاب العلم من الأمصار المختلفة ، فكان العلم يحتلُّ جانباً مهماً في كربلاء المقدسة. فتعقد حلقات أهل الفضل والأدب الواسعة بشكل يدعو إلى الإعجاب، وبذلك حازت كربلاء المقدسة الرئاسة العلمية منذ ذلك الحين ، ذلك على أثر نبوغ العالم الكبير المحدث الشهير حميد بن زياد النينوي. وهكذا ظلت كربلاء المقدسة حتى مطلع القرن الرابع الهجري ، إذ تمصَّرت على عهد البويهيين الذين كان لهم فضلٌ كبيرٌ في تشييد هذا البلد المقدس وعمارته وإحياء التراث العلمي وتشجيع الحركة العلمية فيه.

ويذكر بأنَّ الحوزة العلمية ازدهرت في كربلاء المقدسة باجتماع الشعراء والفقهاء والمحدثين الشيعة ومن ينقل الأحاديث ، حتى أضحت يومياً كـ «**سوق عكاظ**»، مركزاً لقراءة الأشعار البليغة من قبل شعراء الشيعة ، وذلك في

أواخر القرن الأول والقرن الثاني بالتدريج ، وبحضور الأئمة الموجودين عليهما السلام ، أصبح المكان محلّاً لتفسير القرآن ، ونقل الحديث، ولعل أهم من برز في هذا المجال العلامة الشيخ علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (ت ٣٢٩هـ/ ٩٤١م) وهو راوٍ وفقيهٌ ومُفسّر ومن أشهر وأوثق رواة الشيعة وأبرزهم، فقد نقلت عنه الموسوعات الروائية الشيعية بحدود (٧١٤٠) حديثاً منها (٦٢١٤) حديثاً نقلها بطريق والده إبراهيم بن هاشم ، ومن جملة ما ذكر في حقه من المترجمين له ما قاله النجاشي «**بأن علي بن إبراهيم شخصية يطمئن لها في نقل الروايات و يعتمد عليها ، له إيمان ثابت و عقيدة صحيحة**» ، و كذلك أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني ، وإذ يصفه أحد علماء عصره بقوله «**الكليني هو الشيخ الأجل قدوة الأنام، وملاذ المحدثين العظام ، ومروج المذهب في غيبة الإمام عليه السلام، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي الملقب ثقة الإسلام. ألّف الكافي الذي هو أجل الكتب الإسلامية وأعظم المصنفات الإمامية والذي لم يعمل للامامية مثله**».

استمرت الحوزة في كربلاء المقدسة، في تطورها الفكري والعلمي، لتتحفنا بميراث ثقافي مهم وغني، ليبقى مرتبطاً بعلمائنا ، متجهاً إلى عصرنا الحاضر، فشكل جملة من العلماء أمثال: الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣هـ/ ٩٤٨-١٠٢٢م) صاحب كتاب (الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد) الذي يعتبر أحد أهم الكتب التاريخية لدى الشيعة ، ويعد الشيخ المفيد أحد أوائل متكلمي الإمامية الذين وضعوا اللبنات الأولى لهذا المذهب واستخدموا الدليل العقلي في مجمل الأمور للدلالة

على صحة المذهب، والشريفان الرضي (٣٥٩-٤٠٦هـ/ ٩٦٩-١٠١٥م) والمرتضى(٣٥٥-٤٣٦هـ/ ٩٦٦-١٠٤٤م) وهما مفخرة من مفاخر العترة الطاهرة، وإمامان من أئمة العلم والحديث والأدب، وبطلان من أبطال الدين والعلم والمذهب.

وفي الأوقات التي تضطر فيها الحوزة إلى الركود والجمود، يتصاعد نشاط بعض العلماء الفاعلين، ليعيد إلى الحوزة ازدهارها المعهود، ومنهم الشيخ عماد الدين محمد الطوسي المعروف بابن حمزة (ت ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م) أو أبو جعفر الثاني، الذي استطاع جمع الطلبة، وعشاق العلم والفضيلة، إلى الحوزة، بتحقيقاته العميقة، ومهارته الرشيقة في كل العلوم، وقد وصفه الشيخ الفقيه الحسن بن علي بن محمّد الطبري (من علماء القرن السابع) في كتابيه الكامل البهائي ومناقب الطاهرين بـ «**الشيخ الإمام، العلاّمة الفقيه، ناصر الشريعة، حجّة الإسلام عماد الدين أبو جعفر محمّد بن علي بن محمّد الطوسي المشهدي**» وذكر من مصنّفاته كتاب (الثاقب في المناقب).

استمر علماء الامامية في متابعة الدرس والبحث في مدينة كربلاء المقدسة لتبرز منهم نخبة جليلة أمثال الشيخ عماد الدين بن محمد الطوسي أحد أبرز اساتذة الحوزات الدينية في كربلاء المقدسة في القرنين الخامس والسادس الهجريين وقد أطلق عليه المؤرخون والعلماء والفقهاء أوصافاً تدل على عظيم تمكنه من العلوم وعلو منزلته الفقهية فوصفه المؤرخون بأنه كان «**فقيه الإمامية وشيخ الطائفة و شيخ الشيعة**»، في حين قال فيه العلماء **شيخ الإمامية عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب وجميع الفضائل تنسب إليه**، صنف

في كلِّ فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، الجامع لكمالات النفس في العلم والعمل ومن أبرز تصانيفه هي الوسيلة، الواسطة، الرايع في الشرايع، مسائل في الفقه ومنتخب الدين.

في القرن السابع الهجري، وَسَّعَتْ الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة فعاليتها، بزعامة آل معد الحائري، ومن جملة أولئك الذين بلغوا مقام المرجعية العظمى هو السيد فخار معد الحائري، وبهذا الترتيب وجدت الحوزة في كربلاء المقدسة نفسها بعد قرون تتألق بعلماء آخرين مثل ابن فهد الحلي ٧٥٦هـ - ٨٤١ هـ الذي ولد في مدينة الحلة، وهاجر إلى مدينة كربلاء المقدسة، وكان يدرس في حوزة كربلاء المقدسة في ذلك الوقت عدد كبير من طلاب العلوم الدينية من البلدان المختلفة، والشيخ تقي الدين إبراهيم الكفعمي، ومدرس (الطف) السيد

نصر الله الموسوي الحائري وغيرهم.

المبحث الثاني: أشهر علماء الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة

برز في القرن العاشر الهجري / الخامس عشر الميلادي ثُلّةٌ من العلماء أبرزهم السيد ولي الحسيني الحائري، وهو من علماء كربلاء المقدسة البارزين، له مؤلفات عديدة منها كتاب كنز المطالب، مجمع البحرين، منهاج الحق، وتحفة الملوك، ويذكر صاحب كتاب أمل الآمل «**كان عالماً فاضلاً صالحاً محدِّثاً .. من معاصري الشيخ حسين والد الشيخ البهائي والشهيد الثاني له مؤلفات دينية نافعة كثيرة**». وشهد القرن الثاني عشر ظهور الشيخ محمد باقر المجلسي(١٠٣٧-١١١١هـ / ١٦٢٨-١٦٩٩م) صاحب كتاب «**بحار الأنوار**» **والشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور بن أحمد بن عبدالحسني بن عطية بن شيبة الدرازي البحراني**، (١١٠٧ - ١١٨٦ هـ/ ١٦٩٦-١٧٧٢م) صاحب كتاب "**الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة**»، وكان من أجلاء وأفاضل العلماء المتأخرين، صاحب ذهن متوقد وذوق سليم متَّزن، وله باع طويل في الفقه والحديث.

وقال في ترجمته نفسه في «**إجازته الكبيرة**» أنه ولد في قرية «**الماحوز**» بالبحرين، ودرس وهو صبي على والده ثم على العالم العلّامة الشيخ حسين الماحوزي، ودرس أيضاً على الشيخ أحمد بن عبدالله البلادي وغيرهما من علماء البحرين، ثم سافر إلى الحَج وزار النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأهل بيته، ثم رجع إلى القطيف وبقي فيها مدة مشتغلاً بالتحصيل، وبعد خراب البحرين واستيلاء الأعراب من الوهابيين

وغيرهـم عليها فـرَّ إلى ديار العجـم وقطن كرمـان، ثم في شيراز مشتغلاً بالتدريس والتأليـف، ثـم سـافر إلى كربلاء المقدسـة إلى أن توفي فيهـا بعد ظهر يوم السـبت الرابع من شـهر ربيع الأول سنة ست وثمانين بعد الألف والمائة، وسار خلف جنازته جمـعٌ كثـير وجمهـورٌ غفـيرٌ ليُدفـن في الرواق الحسـيني الشريف.

لـه مؤلَّفـات كثـيرة أشـهرها «**الحدائق الناضرة في أحـكام العـترة الطاهرة**» الذي يعدُّ موسـوعة شاملة للمعامـلات والعبـادات الشرعية، و «**الدرر النجفية**» و «**سلاسـل الحديد في تقييد أبي الحديـد**» رداً على شرحه لنهـج البلاغة و «**الشـهاب الثاقـب في معنـى الناصب**» وغيرها.

كـما ظهر على السـاحة الفكرية في كربلاء المقدسـة فقيـهٌ ومجتهـدٌ ورائدٌ اصولي فذّ أخذ على عاتقه التصدِّي للمرجعية مؤسسـاً ومجدداً لمسـار فقهي أصيـل يعتمد العقـلَ والاسـتقراءَ في استنباط الأحكام الشرعية، ألا وهـو الشـيخ الوحيـد البهبهـاني، واسـمه الشـيخ محمد باقـر بن محمـد أكمل بن محمـد صالـح المعروف بالوحيـد البهبهـاني، يرجع نسـبه للشـيخ المفيـد، ولـد في اصفهـان عـام (١١١٧هـ/ ١٧٠٦م) على أشـهر الاقوال، وتلقَّى تعليمـه الأولي عـلى يـد والده العلّامة الشـيخ محمد أكمل، فـدرس عليه مبادئ العربيـة والعلـوم العقليـة والنقليـة لينتقـل بعدهـا إلى مدينـة النجـف لإكـمال تحصيلـه العلمـي، حيـث درس على يـد أكابر علمائها كالشـيخ محمـد الطباطبائي البروجردي والسـيد صدر الديـن القمـي الهمـداني، هاجـر بعدهـا إلى بهبهـان ومكـث فيهـا ثلاثـين عاماً ليستقرَّ به المطاف في كربلاء المقدسـة التـي تـوفي فيهـا عام(١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م). لتدخـل حـوزة كربـلاء

المقدسة مرحلة تاريخية جديدة بفضل رجالاتها الذين تتلمذوا على يد رائدهم الشيخ الوحيد البهبهاني.

شرع الشيخ البهبهاني في التأثير بمن حوله مستخدماً منطقه المقنع ، وتعبيراته المبرهنة ، واستدلالاته الرَّصينة ، وتمكَّن من أن يغيِّر رأي الكثيرين ، فقد كان هذا العالم النحرير ، الذي قيل عنه إنه مُجدِّد المذهب على رأس المائة الثانية عشرة متكلماً لبقاً وحصيفاً ، حيث مكَّنته قدرته العلمية الهائلة، وتعبيراته الإستدلالية المتَّزنة من أن ينهضَ لمجادلة ومناقشة المسائل الخلافية، مدعوماً بجملةٍ من مؤلفاته ومحاججاته الشفوية ، ودروسه وتقريراته الأصولية التي كان يلقيها على تلامذته ، الذين التفّوا حوله بالمئات، حتى انكمشت في عصره الخلافات الحادَّة ورجعت الحوزةُ إلى سابق عهدِها في البحث والتحقيق على ضوء المدرسة الإجتهادية المعروفة.

شرع البهبهاني في وضع المصنفات الخاصة بإحياء وتجديد علم الأصول التي بلغت (٩٤) مصنَّفاً في علم الرجال والحديث والفقه وعلم الكلام ، علاوة على إجازات وتحقيقات أخرى يستدلُّ منها بأن الشيخ الوحيد كان في طور اعداد خطة ممنهجة يبتغي من ورائها إعادة إحياء وتجديد المذهب الاثني عشري ، حيث يعد كتابه «**الرسائل الاصولية**» أبرزها مبيناً فيه ضرورة استخدام العقل الذي عدَّه أحد مصادر التشريع الاسلامي ، و في باب حديثه عن هذا الأمر استحدث مبدأ جديداً يعتمده العقل عنوانه «**الاستقراء**» ، ففتح باباً جديداً في قاعدة تعارض الأدلَّة والنصوص ، وبهذا اعتمد تقديم القاعدة على النَّص ، ثم لزوم تأويل الرواية أو طرحها . كلُّ

ذلك أهّل الشيخ البهبهاني في المرحلة القادمة من حياته لأن يقود زمام الأمور وينتصر للفكر الأصولي ويحارب من أجل إحيائه من جديد .

ولسنا نغالي اذا قلنا بان الشيخ الوحيد البهبهاني قد حاز على اهتمام أغلب رجال التراجم الذين جاءوا بعده . فعلى سبيل المثال لا الحصر وصفه تلميذه السيد محمد مهدي بحر العلوم في بعض إجازاته بقوله «**شيخنا العالم العامل، وأستاذنا الحَبر الفاضل، الفهامة المحقق النحرير، والفقيه العديم النظير ، بقية العلماء ونادرة الفضلاء ، مجدد ما اندرس من طريق الفقهاء ، ومعيد ما انمحى من أثر القدماء، البحر الزاخر ، والإمام الباهر، الشيخ محمد باقر بن الشيخ الأجل الأكمل، والمولى الأعظم الأبجل ، المولى محمد أكمل، أعزه الله برحمته الكاملة ، وألطافه السابغة الشاملة**».

وترجمه الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه «**الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة**» بقوله « **الشيخ الآغا محمد باقر ـ الشهير بالأستاذ الأكبر وبالوحيد ـ إبن المولى محمد أكمل الأصفهاني البهبهاني ، مجاهدٌ كبيرٌ ، ومؤسسٌ محقق ، وأشهر مشاهير علماء الإمامية وأجلّهم في عصره ، ولد في أصفهان في سنة (١١١٨ هـ)، نشأ بها ثم انتقل إلى بهبهان مع والده فاشتغل بها عليه ردحاً من الزمن ، ثم هاجر إلى كربلاء فجاورها وحضر على أركان الملة وأقطاب الشريعة من سدنة المذهب وفحول العلماء**» .

تخرَّج على يديه جمعٌ من أعلام الدين وعباقرة الأمة وشيوخ الطائفة كالمولى محمد مهدي النراقي والميرزا أبي القاسم القمي والشيخ الأكبر جعفر كاشف الغطاء ، والسيد محمد مهدي بحر العلوم، وغيرهم من مشيِّدي دعائم التيار الاصولي ، توفّى البهبهاني

في الحائر الشريف سنة (١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م)، ودفن في رواق حرم الحسين(عليه السلام) مما يلي أرجل الشهداء، ورثاه جمع كبير من علماء ذلك العصر وشعرائه.

كما كان إلى جانب الوحيد البهبهاني العالم الكبير السيد عليّ الطباطبائي(١١٦١-١٢٣١هـ/ ١٧٤٨-١٨١٦م) صاحب المؤلفات الكثيرة القيمة الّتي من ضمنها كتاب «**رياض المسائل**» فيقول صاحب مفتاح الكرامة فيه «**محيي قواعد الشريعة الغراء، مقنن قوانين الاجتهاد في الملّة البيضاء، فخر المجتهدين، ملاذ العلماء العاملين، ملجأ الفقهاء الكاملين، سيدنا وأُستاذنا العلي العالي الأمير السيد عليّ الطباطبائي..**» وهو من علماء كربلاء المقدسة ومراجعها، دفن في الرواق الحسيني، ووصفه صاحب كتاب مفتاح الكرامة بـ«**مشكاة البركة والكرامة صاحب الكرامات أبو الفضائل سيدنا وأُستاذنا الأمير الكبير السيد عليّ أعلى الله شأنه**».

كان من الطبيعي أنْ تصبح كربلاء المقدسة مركزَ استقطابٍ للعلماء وطلاب العلم والمعرفة من كلِّ حدب وصوب بعد نشاط الحوزة العلمية فيها على عهد الشيخ الوحيد البهبهاني، نظراً للمكانة العلمية الكبيرة التي كان الوحيد البهبهاني قد أوجدها بشخصيته العلمية الفريدة في نوعها، ونشاطاته التدريسية والبحثية المكثَّفة، فتحوّلت الحوزةُ العلميةُ في هذه المدينة إلى ساحة تعجُّ وتزخر برهطٍ كبيرٍ من العلماء والفقهاء، والأساتذة والمحققين وجموع غفيرة من طلاب العلم والفضيلة، حتى برزت وتألقت بوصفها المركز العلمي الأول للشيعة في العالم الإسلامي، وفي ذلك الوقت كانت

الحوزة العلمية في النجف تابعة فكرياً لحوزة كربلاء المقدسة المزدهرة والمتوهجة بصولة الوحيد وتلامذته.

وشكَّلت النقلةُ النوعية والحركة التجديدية التي شهدتها حوزة كربلاء المقدسة العلمية في عهد الوحيد البهبهاني، دلالة علمية فاقت كل ما أحرزته هذه الحوزة من قبل وعبر القرون الطويلة، من عطاءٍ علميٍّ وتراث فكري زاخر، ذلك أن في عهد هذا العالم العبقري فتحت صفحة جديدة من التحقيق، والبحث الاستدلالي، والمنطق البرهاني، فأصبح للفقه إطاره العقلي المحدد، إلى جانب إطاره النقلي، وتحدد الرؤية، ووضّح بالكامل مبدأ الاجتهاد الأصولي، وبذلك تكون حوزة كربلاء المقدسة التي احتضنت شخصية علمية تاريخية، مثل الوحيد البهبهاني، قد أسدتْ خدمة كبيرة لمسيرة الفقه الاجتهادي الأصولي.

وخلاصة القول أن النهضة التجديدية في الفقه وأصوله انطلقت بادئ ذي بدء من حوزة كربلاء المقدسة، على يد المربي والمعلم الكبير الوحيد البهبهاني، وامتدّت بعده إلى النجف الأشرف بفضل تلامذته الكبار الذين انتقلوا إلى هذه المدينة في المدة اللاحقة من حياتهم العلمية، فأشاعوا في حوزتها أفكار الوحيد ومبادئ مدرسته الأصولية.

ومن مشاهير تلامذة الوحيد البهبهاني في الحائر الشريف، العالم الرجالي الشيخ محمد بن إسماعيل بن عبدالجبار بن سعد الدين الحائري المعروف بأبي علي الرجالي، ولد في كربلاء المقدسة سنة (١١٥٩ هـ /١٧٤٦م)، وتوفّي فيها سنة (١٢١٥ هـ/ ١٨٠٠م)، نسب نفسه هكذا: محمد بن إسماعيل المدعو بأبي علي، الغاضري مولداً، الجيلاني أباً، الشيباني نسباً، وحكى

نقلاً عن أبيه أن نسبه يتّصل بابن سينا وقال عن نفسه: مات والدي ولي أقل من عشر سنين واشتغلت على الأستاذ العلامة الوحيد البهبهاني والسيد الأستاذ السيد علي الطباطبائي صاحب الرياض. من أهم مؤلفاته، كتاب «**منتهى المقال في أحوال الرجال**» المعروف برجال أبي علي.

وكذلك الحال مع تلميذ آخر من تلامذة البهبهاني، وهو السيد محمد مهدي الشهرستاني ولد في اصفهان عام (١١٣٠هـ/ ١٧١٨م)، قدم في شبابه من مدينة أصفهان إلى مدينة كربلاء المقدّسة لتلقّي العلم فيها، فدرس عند أساتذتها المعروفين أمثال البهبهاني والشيخ أحمد النراقي، قام السيّد الشهرستاني بإصلاحات كثيرة في الحضرة الحسينية والصحن الحسيني الشريف، مستفيدًا من المال الذي كان يرد إليه من موقوفات جَدِّه الأعلى، السيّد فضل الله الشهرستاني، كما كان للسيّد الشهرستاني يَدٌ في إيصال الماء من نهر الفرات إلى مدينة النجف الأشرف، وذلك بحفر نهر عريضٍ وعميق، ابتداءً من الشاطئ الواقع جنب جسر المسيب، إلى أرض النجف المقدَّسة، وقد تم ذلك في مسافة من الأرض تناهز (٢٥) فرسخًا، أي ما يساوي (١٣٧) كم تقريبًا، وتمَّ إنجازه وجرت فيه المياه سنة (١٧٩٨م) وهذا النهر هو المعروف بنهر الهندية اليوم، توفي السيد الشهرستاني في كربلاء المقدسة سنة (١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) ودفن بمقبرته التي كان قد أعدَّها لنفسه في حياته، بجوار قبور الشهداء في الحرم الحسيني الشريف، والتي أصبحت فيما بعد مقبرة الأسرة الشهرستانية.

ومن تلامذة الشيخ البهبهاني السيد محمد نجل السيد علي صاحب الرياض، وسبط الوحيد البهبهاني ولد

(١١٨٠هـ/ ١٧٦٦م)، كان من كبار علماء الامامية، ولد في كربلاء المقدسة واقام فيها ثمَّ هاجر إلى اصفهان، انتهت إليه رئاسة الطائفة الإمامية بعد وفاة والده السيد علي، سمي بالمجاهد بسبب قيادته لجموع المجاهدين في شمال ايران لصد الهجوم الروسي عليها، كان مسقط رأسه في كربلاء المقدسة إلى أن وقعت حملة الوهابيين التي هاجر على إثرها إلى إيران وحل في أصفهان، بقي (١٣) سنة زعيماً دينياً إلى أن جاءه نعي والده سنة (١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م)، فغادر أصفهان متوجهاً إلى كربلاء المقدسة، فأصبح مرجعاً عاماً فيها ليتوفى عام (١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م).

ومن تلاميذ السيد المجاهد من الروّاد الأصوليين الشيخ مرتضى الانصاري، وهو الشيخ مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين الأنصاري، ينتهي نسبه إلى الصحابي المعروف جابر بن عبد الله الأنصاري، أحد علماء الإمامية، ولد في مدينة ديزفول الواقعة جنوب إيران في يوم الغدير الأغر سنة ١٢١٤ هـ/ ١٨٠٠م، انحدر الشيخ الأنصاري من أسرة علمية معروفة بالصلاح والتَّقوى، تعلّم قراءة القرآن والكتابة وهو في الخامسة من عمره، وأخذ بعدهما بدراسة علوم الصرف، والنحو، والمنطق والمعاني، والبيان على يد والده و فضلاء مدينته، ثُمَّ قرأ المقدّمات عند عمّه الشيخ حسين، إلى أن صار عمره عشرين سنة، كما أكمل دراسته على يد السيد محمد المجاهد وشريف العلماء المازندراني في كربلاء المقدسة ليُصبح من العلماء البارزين، فبقي آخذاً عن الاستاذين المشار إليهما أربع سنوات إلى أن حوصرت كربلاء بجنود داود باشا، فتركها العلماء والطلّاب

وبعض المجاورين قبل أن يهاجرها إلى النجف.

حاز آية الله العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري المرجعية العليا للشيعة في العالم كله، وكانت تصل إليه من أموال الزكاة والخمس وغيرها مبالغ كبيرة ولكنه لم يأخذ منها لشخصه شيئاً، حتى وجد المؤمنون أوضاعه المعيشية عند وفاته كما كانت عند بدء دراسته العلوم الدينية لما قدم إلى النجف الأشرف أول شبابه من مدينة ديزفول الايرانية، وكان بيته كبيت أفقر الناس في النجف. وهو المرجع الأعلى لهم..

ومن ثري ما يُذكر قال له أحدُ المؤمنين يوماً: أيها الشيخ، انك تبذل جهداً عظيماً، وبيدك مثل هذه الأموال، وأنت لا تصرف منها شيئاً في شؤونك الشخصية! فقال له الشيخ متواضعاً «**أيُّ جهد يا هذا! ليس ما أقوم به شيئاً عظيماً**»، ومن أقواله الأخرى «**الحقوق شُرِّعت لسدِّ حاجة المعوزين لا ليتنّعم بها الرؤساء والسادة والعلماء وأبناء العلماء**». مما يدلُّ على أنَّ رسالة الشيخ الأنصاري لم تفتأ أنْ انعكست على أقواله وأعماله في كلِّ حين لتصبح مناراً يستضاء به اذا ما احتاج المجتمع للعودة الى رموزه كي يستنير بهم.

هذه المرة نتطلَّع إلى كوكبٍ آخر في سماء الحوزة العلمية بكربلاء المقدسة، اكتسب ضياءه وبهاءه من وجود الجثمان الطاهر لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في هذه البقعة المباركة من الأرض، إنه المرحوم الميرزا السيد محمد هادي الحسيني الخراساني، الذي يُعد أحد زعماء الحوزة العلمية في مدينة التضحية والشهادة، ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة (١٢٩٧ هـ-١٨٧٩م) وكانت نشأته في التحصيل العلمي في الروضتين الحسينية والعباسية المطهرتين. ومن ثم أودعه والده في

حلقات حفظ القرآن الكريم فأتقن قراءة القرآن الكريم والأدعية المأثورة بشكل جيد وهو ابن سبع سنين. درس على يد العديد من العلماء الأجلّاء منهم الفاضل البسطامي والفقيه السيد حسين الأسترا بادي في مدرسة ميرزا جعفر، ودرس شرح النظام على شافية ابن حاجب في الصرف، وشرح الجامي على كافيته في النحو، وغيرها.

غادر مدينة كربلاء مدّة من الزمن ليعود إليها ثانية، حيث يصف السيد هادي هذه العودة المباركة في كتابه «لمحة الأربعين» بقوله: « **ثم تشرّفت إلى كربلاء مسقط رأسي ومحلِّ أُنسي، فاشتغلتُ بالدروس وتمحض انشغالي بالفقه والأصول، وكان أول حضوري درس الخارج في كربلاء لدى الشيخ العلامة الآخوند المولى محمد كاظم الخراساني، وبعد ذلك انتقل السيد الخراساني إلى مدينة النجف الأشرف ليواصل تحصيله العلمي فيها. فمكث في مدرسة السليمية وشرع بالتدريس في مرحلة السطوح، كما حضر أبحاث العلامة الميرزا محمد باقر الأصطهباناتي في المعقول، وحضر أبحاث سماحة العلامة شيخ الشريعة الاصفهاني في مباحث الألفاظ**».

ومن كربلاء المقدسة ومن جوار الإمام الحسين عليه السلام انطلق السيد هادي الخراساني في دوره الاجتماعي والسياسي لتقويم كل ما اعوجّ من أمور المسلمين في العراق وخارجه، ومن أبرز أدواره الوقوف بوجه القرار الجائر بترحيل الشيخ مهدي الخالصي بسبب انتقاداته للحكومة التي شكّلها عبد الرحمن النقيب ومعارضته الشديدة لاتفاقياتها مع الاستعمار البريطاني، وكان قرار ترحيل الشيخ الخالصي سنة (١٩٢٣) إلى ايران بصحبة المرجع الكبير الشيخ النائيني وآية

الله الاصفهاني ، و السيد الخراساني ورد فعل الجماهير التـي تحـدت السلطات الحاكمة آنذاك حيث أُجري للشيخ الخالـصي موكب توديع حاشد ، وقد ساروا لمسافة طويلة مع سيارته ، مما أحبط المخطط الرامي إلى النيل من علماء الدين والتقليل من شأنهم.

وكان موقفه بـارزاً وشـاخصاً في قضيـة تهديم مئذنة العبد وأطراف الحرم الحسيني الشريف ، فكتب مع عـدد من علـماء كربلاء المقدسـة برقيـةً إلى الملـك فيصل الثـاني والوصي عبد الإله يستنكر فيها قرارات رئيس الوزراء آنذاك ياسين الهاشـمي عـام ١٩٢٤م ، وكان ممّـا يُنقل مـن مواقفه الاجتماعيـة عـلى مـشروع الهدم الطائفـي امتناعه عن أداء صـلاة الجماعة في الحرم الحسـيني الشريـف ، وكان يقـف أمـام النـاس لأداء فريضـة الصـلاة منفـرداً ، لإثارة الرأي العام على قرار هدم وتخريب المعالم الأثرية لكربلاء المقدسـة ، ولم يكن السيد الخراسـاني بعيداً عمّا كان يجـري في ايـران مـن الممارسـات اللادينيـة التـي كانـت تتبعهـا السـلطات البهلويـة ضـد الحـوزات العلميـة ، وفرضهـا القيـم اللاأخلاقيـة في المجتمـع، كـما لم يكن بعيـداً عمّا جرى عـلى مراقـد أئمـة البقيع – عليهـم السـلام– في المدينة المنـورة ، حيـث أبـرق إلى الحكام السـعوديين برسائل الاحتجـاج والاسـتنكار على مـا قامـوا به مـن هدم معـالم قبور الأئمـة الأربعة الأطهـار عـام ١٩٢٥م، وعلى أثـر ذلك ألَّـف كتاباً أسماه «**دعوة الحق**» ، أكد فيه بطلان ما قام بـه الوهابيون مـن تدمـير معـالم أئمـة المسـلمين والاسـتخفاف بمشاعرهم الدينية.

وإلى جانب اهتمامه بالحوزة العلميـة ومتابعة الشـؤون الاجتماعية والسياسية ، فقد أولى السـيد الخراساني أهمية كبيرة للتأليف ، حيث أغنى

المكتبة الإسلامية بمجموعة قيّمة من المؤلفات الفقهية و الا خلا قية و ا لتا ر يخية والعقائدية، بلغت (١٤٣) كتاباً منها (دعوة الحق إلى أئمة الخلق)، (القول السديد بشأن الحر الشهيد)، وغيرها كثير.

وفي الثاني عشر من ربيع الاول سنة (١٣٦٨هـ -١٩٤٨م) خمدت شعلة السيد هادي الخراساني مخلفاً في نفوس المؤمنين الحزن واللوعة، وجرى له في كربلاء المقدسة تشييعٌ مهيب و ووري جثمانه الثرى في الحجرة الواقعة شمال الصحن الحسيني الشريف التي يقع عندها حالياً "**باب السلالمة**»، وقد عُطلت الأسواق والحوزات، وأقيمت له مجالسُ العزاء في العراق وإيران، فقد رحل عن هذه الدنيا، لكنه طبع في التاريخ بصماته الجهادية والعلمية والاجتماعية ليبقى في ذاكرة الاجيال ضمن السلسلة المضيئة عبر التاريخ للعلماء المجاهدين في سبيل الله تعالى.

ثم ختم الحلي بحثه بالاستنتاجات التالية :

تتّضح مما سبق عرضه في ثنايا البحث حقيقةٌ هي أن مدينة كربلاء المقدسة كانت مؤهلة تماماً لأن تضم في رحابها وبين ظهرانيها أولى وأعرق حوزة علمية للشيعة، فلها من آيات القدسية والبركة والكرامة والشرف، القسط الأوفر والنصيب الأكبر، خاصة أن تشكيلة الناس الذين سكنوها هي تشكيلة إجتماعية ذات اتجاه علمي وديني و أدبي قوي وأنّ نسبة كبيرة ممن قطنوها خلال القرون الأولى من نشأتها وتمصرها، هم من العلويين والسادة الموسويين الذين ينتسبون للأئمة الأطهار، والذين هم الأولى أن ينهضوا لترسيخ دين وشرعة جدهم الأكبر النبي محمد ﷺ، ولتدعيم

أسس الإمامة والولاية، الأمر الذي وفَّر جوّاً دينياً وروحياً متسامياً في كربلاء المقدسة، كان لا بد أن ينشأ ويترعرع في وسطه دُعاة الدين والفضيلة، ومبلغو القيم الروحية.

ومن منطلق ما جاء ذكره آنفاً، فقد أخذت مدينة كربلاء المقدسة تسير وفق منطق التاريخ، والمعطيات العلمية والمؤشرات الدينية، التي برزت على ساحتها باتجاه أن تأخذ قصب السبق في أن تكون الحوزة الرائدة وأن تحظى بالمرتبة الأولى بين الحوزات العلمية الرئيسة لعلماء الشيعة، ولم يكن حتى هذا الوقت قد ظهر ما يشير إلى مصطلح الحوزة، بل كانت هناك حلقات درس وبحث تعقد هنا وهناك، لكن ظهور هذا المصطلح وتبلوره ورواجه بين علماء الإمامية لم يتحقق إلّا بظهور المؤسسة العلمية الدينية في النجف الأشرف.

ويمكن الاستنتاج بان جميع الجهود الفكرية والمواقف العملية لرواد الفقه السياسي الشيعي، لم تكن نتيجة تطور تاريخي طبيعي خاضع لقوانين القضاء والقدر، بقدر ما هو مخاض عسير عاشه وأسس له الشيخ الوحيد البهبهاني بجهود استثنائية وفق خطة مدروسة أكملها وحمل رايتها تلامذته من بعده لتشكِّل تاريخاً حركياً لم ينتهِ حتى يومنا هذا.

ومن خلال دراسة حركة المرجعية يلاحظ بأنها أثبتت قدرتها على التماشي مع حركة الحياة في حياتها ومشاكلها لتعطي كلَّ واحد منها حكماً يتناغم مع حاجاته مسجلةً بذلك صيرورة تاريخية فريدة تمثلت في قيادة الامة وتوجيهها فكرياً وسياسياً، إلى الحد الذي طوَّرت فكرة الانتظار إلى التمهيد لدولة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

مَنشُورَاتُ

مَركز تراث كربلاء

قسم شؤون المعارف الإسلامية والإنسانية

العتبة العباسية المقدسة

العنوان : كربلاء المقدسة - مجمع الكفيل الثقافي - حي الإصلاح - خلف متنزه الحسين الكبير .

هاتف رقم : ٣١٠٠٥٩ ، موبايل رقم : ٠٧٧٠٠٤٧٩١٢٣ ، البريد الألكتروني : turath @alkafeel.net

موقع مركز تراث كربلاء - www.mk.iq

إعداد وتحرير : كاظم الناشي ، كرار ياس الفتلاوي - التصوير الفوتوغرافي : دريد الحسيني

التصميم والإخراج : كرار سعيد الخفاجي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (٢٧٨) لسنة ٢٠١٥م